

المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣ م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا



تداولية الأفعال الإنجازية

في قصة فرعون في الآيات القرآنية

The pragmatics of accomplishment actions
in the story of Pharaoh in Qur'anic verses

بـ بقلم الباحثة

شادية محمد آل داهش

مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية.

العدد الرابع (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣ م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تداولية الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في الآيات القرآنية

شادية محمد آل داهش

قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: shadeaa@yahoo.com

الملخص

تكتسب دراسة الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في الآيات القرآنية أهمية بالغة، إذ إنها تفرض على الدارس التأمل في نظام القرآن وبلاغته، بحيث يتسع أفقه، وتزيد مداركه، كما تتكون لديه ملكة القراءة المنتجة.

والموجه الذي دفعني لدراسة هذا الموضوع هو أن القرآن الكريم منبع البلاغة العربية ومصدرها. وكل دراسة أو منهج حديث لا يتعارض مع قدسية القرآن الكريم، فاللغة القرآنية ستظل معجزة ولا يتحداها جديد، فهو معجز، وكل ما يصدره البشر من حديث أو جديد في البلاغة يجده فيها. فالمقاربة التداولية ومعاييرها الجديدة تلتقي مع البلاغة العربية، ما يجعل القواسم المشتركة بينهما جديرة بالنظر، وأخص بالذكر الأفعال الإنجازية في قصة فرعون.

وقمت بدراسة الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في الآيات القرآنية، من خلال آليات المنهج التداولي، انطلاقاً من مفهوم الأفعال الإنجازية، الذي يكشف لنا جماليات اللغة من خلال التأمل في القصص القرآنية ومقاصدها ومقاماتها، مما يسهم في زيادة الإدراك والتأثير والتفاعل لدى المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الإنجازية، قصة فرعون، التداولية

The pragmatics of accomplishment actions in the story of Pharaoh in Qur'anic verses

Shadyah Mohammad Al Dahesh

Department of Arabic Language, College of Human Sciences , King Khalid University, - Saudi Arabia.

Email: shadeaa@yahoo.com

Abstract

The study of the accomplishment actions in the story of Pharaoh in the Qur'anic verses is of great importance, as it forces the student to contemplate the system and eloquence of the Qur'an, so that his horizon expands, his perceptions increase, and he develops the ability to read productively.

The guide that prompted me to study this topic is that the Holy Qur'an is the source and source of Arabic eloquence. Every modern study or method that does not conflict with the sanctity of the Holy Qur'an. The Qur'anic language will remain a miracle and nothing new will challenge it. It is a miracle, and everything that humans issue of hadith or newness in rhetoric is found in it. The pragmatic approach and its new standards converge with Arabic rhetoric, which makes the commonalities between them worthy of consideration, especially the achievement actions in the story of Pharaoh.

I studied the accomplishment verbs in the story of Pharaoh in the Qur'anic verses, through the mechanisms of the pragmatic approach, based on the concept of accomplishment verbs, which reveals to us the aesthetics of the language through contemplation of the Qur'anic stories, their purposes, and their positions, which contributes to increasing the perception, influence, and interaction of the recipient.

Keywords: accomplishment actions, the story of Pharaoh, pragmatics.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي نزل القرآن، مبيناً للأحكام، مصوراً للحقائق، وطريقاً للحق، وسبيلاً للمهتدين، وحجة على العالمين إلى يوم يبعثون، وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ.

أما بعد،

فإن القرآن الكريم كتاب عربي مبين، يقرأ صوته بلسان عربي، وبلفظ فصيح، وعبارة بليغة، ويبين معناه باللغة العربية، وهي أمُّ لكثير من اللغات التي عمَّتْ غالب الأرض دهرًا، ولا عجب أن تستقر في عالم الغيب، حافظةً الماضي والحاضر والمستقبل، لتكون معجزة النبي ﷺ.

ولكلم القرآن في كلِّ زمان ومكان مدلولات، وفق ظلال تُلقِيها على المعاني البيئية والاجتماعية، وهذه مقاربة تداولية لفهم بعض الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في الآيات القرآنية.

تكتسب دراسة الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في الآيات القرآنية أهميةً بالغة، إذ إنها تفرض على الدارس التأمل في نظام القرآن وبلاغته، بحيث يتسع أفقه، وتزيد مداركه، كما تتكون لديه ملكة القراءة المنتجة.

والموجّه الذي دفعني لدراسة هذا الموضوع هو أن القرآن الكريم منبع البلاغة العربية ومصدرها. وكل دراسة أو منهج حديث لا يتعارض مع قدسية القرآن الكريم، فاللغة القرآنية سنظل معجزة ولا يتحداها جديد، فهو معجز، وكل ما يصدره البشر من حديث أو جديد في البلاغة يجده فيها. فالمقاربة التداولية ومعاييرها الجديدة تلتقي مع البلاغة العربية، ما يجعل

القواسم المشتركة بينهما جديرة بالنظر، وأخص بالذكر الأفعال الإنجازية في قصة فرعون.

أهمية الموضوع:

- الأفعال الإنجازية من أهم أساليب القرآن، ولا سيَّما في قصة فرعون.
- خدمة كتاب الله، والكشف عن طريقة البحث في مظاهر التداولية.
- الوقوف على الأفعال الإنجازية في قصة فرعون، وبيان معناها، وقيمتها، ومقاصدها.
- الإفادة من معطيات البلاغة الجديدة، ولا سيَّما التداولية التي وضعت على أسس بلاغية.

الدراسات السابقة:

تعد الدراسات السابقة عن الأفعال الإنجازية من البواعث التي دفعتني لدراسة ظاهرة الأفعال الإنجازية في قصة فرعون، فمع ما كتب عن التداولية في بعض جوانب القصة إلا أنها ما تزال في حاجة إلى الكشف عن دلالية الأفعال الإنجازية، وهذا ما دعاني وحفزني لدراسة هذا الموضوع، مع مراعاة خصوصية الآيات القرآنية، وتحري الدقة في الاشتغال عليه، وقد أفدتُ من الكتب والدراسات السابقة، وأجملها في الآتي:

- كتب التفاسير.
- كتب البلاغة العربية.
- كتب التداولية.

أهداف البحث:

- محاولة الكشف عن بعض مظاهر الإعجاز البلاغي في قصة فرعون في القرآن الكريم.
- محاولة الكشف عن أساليب الأفعال الإنجازية البلاغية في قصة فرعون في القرآن الكريم.
- الوقوف على المقاصد من الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في القرآن الكريم.
- الكشف عن تناسب التداولية مع البلاغة العربية ولا سيما في قصص القرآن الكريم.

تساؤلات البحث:

- ما مفهوم التداولية في المرجعيات المعجمية وعند دارسيها؟
 - ما مفهوم الأفعال الإنجازية؟
 - ما الأفعال الإنجازية التي تضمنتها قصة فرعون في الآيات القرآنية؟
- وفي ضوء هذه التساؤلات تحاول الدراسة الإجابة عنها بتدبر كتاب الله ومظاهر الإعجاز فيه، ثم بالاستعانة بالمراجع ذات الصلة بجهود المفسرين والبلاغيين ومن له تعلق مخصوص بالموضوع من الجهود الحديثة في دراسة البلاغة.

خطة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة مقسمة على ثلاثة محاور مسبقة بمدخل والعتبة الأولى التي انطلقت منها هذه الدراسة:

أولاً- مفهوم التداولية: وفيها تعريف التداولية لغة واصطلاحاً، ونشأة التداولية وتطورها.

ثانياً- الأفعال الإجازية: وقسمتها إلى محاور:

١- المحور الأول: أفعال الوعد والوعيد في قصة فرعون في الآيات القرآنية.

٢- المحور الثاني: أفعال التهكم والإقرار في قصة فرعون.

٣- المحور الثالث: أفعال المنع والمنح في قصة فرعون.

وانتهت الدراسة بخاتمة لخصت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

وختم البحث بفهارس تساعد الباحث، وتسهل عليه الوصول إلى غايته، ووضعت فهرساً لآيات القرآنية، وللمصادر والمراجع، رتّب ترتيباً ألفبائياً، وأخيراً فهرساً للموضوعات.

واعتمدت الدراسة على المنهج التداولي، وعلى الشاهد القرآني، دون الخوض في اختلاف المفسرين وأقوالهم، ولا أزعم الإمام بجميع الشواهد، بل حاولت اختيار ما يناسب السياق والفكرة، ووجدت الكثير من تكرار القصص مع اختلاف الأساليب، وتنوعها وتعددتها، وهذا من الإعجاز القرآني البياني.

مدخل:

تعريف التداولية:

١- لغة:

وَرَدَ مصطلح التداولية في معاجم العرب (دول) بمعنى: التَّحَوُّلُ، والتَّنَقُّلُ، والتَّبَدُّلُ، إذ جاء في معجم أساس البلاغة بمعنى: "دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام، بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوِّهم، جعل الكثرة لهم عليه...، وأدبل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبل المشركون على المسلمين يوم أحد...، والله يُداولِ الأيام بين النَّاسِ مرَّةً لهم، ومرَّةً عليهم...، وتداولوا الشَّيءَ بينهم، والماشى يُداول بين قدميه: يُراوح بينهما".^(١)

جاء أيضاً في مُعجم لسان العرب بمعنى: "تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّول، وقالوا: دواليك؛ أي: مُداولة على الأمر... ودالت الأيام؛ أي: دارت، والله يُداولها بين النَّاسِ، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرَّةً وهذه مرَّةً، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى: تعاورناه فعمل هذا مرَّةً، وهذا مرَّةً".^(٢)

نجد أنَّ المعاجم العربيَّة لم تخرج عن معنى (دول) التي تدور جميعها حول معنى: الانتقال، والتَّحَوُّلُ، وأيضاً يقول الباحث المغربيُّ طه عبد الرَّحمن في (التداول) بمعنى: "تداول النَّاسِ كذا بينهم، يُفيد معنى تناقله النَّاسِ، وأداروه بينهم، ومن المعروف أيضاً أنَّ مفهومي النَّقل والدَّوران مستعملان

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل

السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ج١، ص٣٠٣.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت،

لبنان، المجلد ١٥، ص٣٢٨.

في نطاق اللُّغة المَلْفُوظة، كما هما مستعملان في نطاق التَّجربة المحسوسة، فيقال: نَقَلَ الكلامَ عن قائله بمعنى: رواه عنه، ويقال: دَارَ على الألسن، بمعنى: جرى عليها... فالنَّقْل والدَّوران يدلَّان في استخدامهما اللُّغويَّ على معنى التَّواصل، وفي استخدامهما التَّجريبيَّ على معنى الحركة بين الفاعلين... فيكون التَّداولُ جامعًا بين اثنين؛ هما: التَّواصل، والتَّفاعل، فمقتضى التَّداولِ إذاً أن يكون القول موصولًا بالفعل".^(١)

(١) عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج وتقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ص ٢٤٤.

٢- اصطلاحاً:

هو "تخصُّصٌ لسانيٌّ يُدرِّسُ كَيْفِيَّةَ استخدامِ النَّاسِ الأدلَّةَ اللُّغويَّةَ في صلبِ أحاديثهم وخطاباتهم، كما تُعنى من جهةٍ أخرى بكَيْفِيَّةِ تأويلهم تلك الخطابات والأحاديث".^(١)

التَّداوليَّةُ تعني "بدراسة استعمال اللُّغة في الخطاب، شاهدةً على ذلك مَقْدَرَتها الخطابيَّة"^(٢)، لأنَّ "التَّداوليَّةَ تتطرَّقُ إلى اللُّغة، كظاهرةٍ خطابيَّةٍ تواصليةٍ، واجتماعيةٍ معاً".^(٣)

"فالتَّداوليَّةُ إذا تُعنى بالشُّروط، والقواعد اللّازمة بين أفعال القول، ومقتضيات المواقف الخاصَّة به؛ أي العلاقة بين النصِّ والسيِّاق".^(٤)

"لم تعدْ علماً لُغويّاً بالمعنى التقليديِّ، علماً يكتفي بوصفِ البنى اللُّغويَّة وتفسيرها، ويتوقَّف عند حدودها، وأشكالها الظَّاهرة، ولكنَّها علمٌ جديدٌ للتَّواصل، يدرس الظواهر اللُّغويَّة في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمَّ مشاريع معرفية متعدِّدة في دراسة ظاهرة (التَّواصل اللُّغويِّ، وتفسيره)".^(٥)

(١) دلاش، الجلاي، مدخل إلى اللسانيات التَّداوليَّة، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات

الجامعية الجزائرية، الجزائر، ١٩٩٢م، ص ١.

(٢) فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التَّداوليَّة، تر: سعيد علوش، منشورات الإنماء القومي،

بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٨.

(٤) فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط ٢،

ص ٢٠.

(٥) صحراوي، مسعود، التَّداوليَّة عند العلماء العرب دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلامية في

التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م،

ص ١٦.

التداولية هو علمٌ يقوم بدراسة التراكيب، ووضعها في قالب يضم المعارف اللغوية، ويراعي الجوانب الثقافية، والنفسية، والاجتماعية، والفلسفية التي تصبُّ جميعها في صالح الخطاب، ومدى اتساعه، وقوة معناه، وجزيل لفظه، ثمَّ يقوم المتكلم بصنع هذا القالب بطريقة تُثير انتباه المتلقي نحو الوصول إلى الهدف المنشود من الخطاب، وهو: الفهم، والإقناع، والتأثير، والتأثر.

التداولية علمٌ يقوم أيضاً على التواصل بين المتكلم، والمتلقي، بدراسة ظواهر اللغة التي تسهم في بناء الخطاب تحت تأثير العوامل المحيطة، سواء كانت نفسية، أم اجتماعية، وبذلك تهتمُّ التداولية بأحوال السامعين، والظروف المحيطة بهم، وأغراض المتكلمين، ومقاصدهم.

"الخيطة الناظم بين هذه التعريفات هو اتفاقها على أنَّ التداولية تُركِّز على كلِّ ما له علاقة باستعمال النسق، في مقابل اللسانيات البنيوية - على اختلافها وتنوعها-، والمنشغلة أساساً بدراسة النسق اللغوي لذاته، ومن أجل ذاته".^(١)

(١) ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٦م،

نشأة التداولية وتطورها:

"يعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلز ساندرس بيرس)، حينما نشر مقالتي في مجلة (ميتافيزيقا) سنة ١٩٧٨ و ١٩٧٩، بعنوان: (كيف يمكن تثبيت الاعتقاد؟ ومنطق العلم: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ إذ أكد أن الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترناً بالإدراك في حالته الأولى، وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أن الممارسة والتطبيق والفعل، هي التي تشكل الأساس، والقاعدة لمختلف الأفكار".^(١)

انقسموا في نشأتها إلى قسمين؛ فمنهم من سار على المنهج السيميائي، إذ ربط التداولية بعلم العلامات، حتى وصل بهم القول إلى أن "التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملها"^(٢)، وأيضاً بين المنهج الفلسفي والتداولي الذي أدى إلى حصر، وتضييق في المجال التداولي.

يرى أوستن من "ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية، أو تعجبية أو أمرية، لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق، أو الكذب، وبالفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع، بل لتغييره، فهي لا تقول شيئاً عن حالة الكون الراهنة، أو

(١) بغورة، الزواوي، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس ٢٠٠٧، العدد ٣، المجلد ٣٥، ص ١٩٩.

(٢) أرمينيكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، ص ١٢.

السَّابِقَة، إِنَّمَا تُغَيَّرُهَا، أَوْ تَسْعَى إِلَى تَغْيِيرِهَا"^(١)، ثُمَّ بَدَأَ فِي تَطْوِيرِ مَلاحِظَاتِهِ إِلَى أَنْ قَسَمَ الْجُمْلَ إِلَى جُمْلٍ وَصْفِيَّةٍ، وَجُمْلٍ إِشْائِيَّةٍ، وَوَجَدَ صَعُوبَةً فِي الْمَقَابِلَةِ بَيْنَهَا، ثُمَّ تَخَلَّى عَنِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا، وَوَضَعَ جُلَّ اِهْتِمَامِهِ فِي "كَشْفِ مَفْهُومِ الْعَمَلِ الْمُتَضَمِّنِ فِي الْقَوْلِ بِوَضُوحِ مَا يَقْصِدُهُ (أُوسْتِن) بِالْإِنْشَائِيِّ. وَهَذَا الْمَفْهُومُ نَجْدُهُ فِي أَعْمَالِ الْمَعَاصِرِينَ، إِذْ أَقْرَأَ أُوسْتِنَ بِأَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ بِمَجْرَدِ التَّلْفُظِ بِهَا عَلَى نَحْوِ جَادِّ تَوْافِقٍ عَلَى الْأَقْلَى إِنْجَازَ عَمَلٍ قَوْلِيٍّ وَعَمَلٍ مُتَضَمِّنٍ فِي الْقَوْلِ، وَتَوْافِقٍ أحيانًا كَذَلِكَ الْقِيَامِ بِعَمَلٍ تَأْثِيرٍ بِالْقَوْلِ"^(٢).

"يَحْتَلُّ الْفِيلَسُوفُ الْأَمْرِيكِيُّ (جون سيرل) مَوْقِعَ الصَّدَارَةِ بَيْنَ أَتْبَاعِ أُوسْتِنَ وَمُرِيدِيهِ، فَلَقَدْ أَعَادَ تَنَاوُلَ نَظْرِيَّةِ أُوسْتِنَ، وَطَوَّرَ فِيهَا بَعْضِينَ مِنْ أبعادها الرئسية، هما: المقاصد، والمواصفات، وبالفعل يمكننا عدُّ الأعمال اللُّغويَّةِ، والجمليَّةِ التي أنجزت بواسطتها، وسيلةً تواضعيَّةً للتعبير عن مقاصد وتحقيقها. وهذا المظهر كان حاضرًا لدى (أوستن)، ولكن سيعرف أوج تطوُّره لدى (سيرل)"^(٣).

"تَطَوَّرَتِ التَّدَاوُلِيَّةُ فِي أوروبَّا الْقَارِيَّةِ، وَبِالْخُصُوصِ فِي فرنسَا، فِي إِثْرِ أَعْمَالِ أُوسْتِنَ وَسِيرلِ، وَكَانَ بِفَضْلِ اللُّسَانِيِّينَ؛ فَهِيَ تَدَاوُلِيَّةٌ تَسْعَى إِلَى أَنْ تَكُونَ مُنْدَمِجَةً فِي اللُّسَانِيَّاتِ، لَا كَتَكْمَلَةٍ لَهَا، بَلْ كجزءٍ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْهَا"^(٤).

(١) موشلار، جاك، آن رويول، التَّدَاوُلِيَّةُ الْيَوْمَ عِلْمٌ جَدِيدٌ فِي التَّوَاصُلِ، تَر: سَيْفُ الدِّينِ، مُحَمَّدُ الشَّيْبَانِي، مَرَاجَعَةٌ: لَطِيفُ زَيْتُونِي، دَارُ الطَّلِيْعَةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، بَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣) موشلار، جاك، آن رويول، التَّدَاوُلِيَّةُ الْيَوْمَ عِلْمٌ جَدِيدٌ فِي التَّوَاصُلِ، تَرجمة: سَيْفُ الدِّينِ، مُحَمَّدُ الشَّيْبَانِي، مَرَاجَعَةٌ: لَطِيفُ زَيْتُونِي، ط١، دَارُ الطَّلِيْعَةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، بَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، ٢٠٠٣م، ص ٣٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٧.

لعلَّ من أهمِّ قضايا الكفاية التَّداولية هي:

الأفعال الإنجازية:

تعدُّ الأفعال الإنجازية "هي الإجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفُّظِه بملفوظات معيَّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية...، فهذه كلُّها أفعال كلامية" (١).

يقول (محمود نحلة): "هو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافيِّ يكمن خلف المعنى الأصلي" (٢).

إنَّ مؤسس هذه النظرية هو (أوستن)، ومن أهمِّ أعماله كتاب: (كيف نجز الأشياء بالكلمات)، وقد صبَّ جُلَّ اهتمامه باللُّغة، إذ يقول: إنَّ "اللُّغة ليست مجرد أداة للإخبار والوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله، وعليه فموضوع البحث يرتكز على ما نفعه بالتعبير التي نتلفظ بها أفعال الكلام" (٣).

تدلُّ الأفعال الإنجازية على قصد المتكلم، إمَّا لفعل وعد ووعد، وإمَّا إقرار وتهكُّم، وإمَّا منح ومنع، عن طريق إنجاز الأشياء باستخدام تلك الأفعال التي يحاول المتكلم إيصالها للمتلقِّي في سياق الخطاب.

(١) الصحراوي، مسعود، التَّداولية عند العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص ١٠.

(٢) نحلة، محمود أحمد السيد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢م، ص ٤٥.

(٣) الباهي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ط ٢، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م، ص ١٢٣.

المحور الأول :

أولاً- أفعال الوعد والوعيد :

يُطلق عليها في التداوليّة الأفعال الإلزاميّة، وهي تلك الأفعال الغرضيّة التي تهدف إلى إلزام المتكلم مسلكاً مستقبلياً معيّناً للفعل... وشرط الإخلاص هو القصد والمحتوى القضوي، هو دائماً أنّ المتكلم يفعل فعلاً مستقبلياً^(١)، بذلك تتمثّل أفعال الوعد والوعيد في الأفعال الإلزاميّة التي ترتبط بالجزاء الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين من نعيم، وأيضاً العقاب والعذاب الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى للكفار والمشركين الذين عدلوا عن الصراط المستقيم.

أطلق عليها (جورج يول) "الملزومات، وهي تعبر عما ينويه المتكلم من وعود، وتهديدات، وتعهّدات"^(٢)، والوعد هو: "الوعدّ يكون في الخير والشرّ، يُقال: وَعَدْتُهُ بِنَفْعٍ وَضَرٍّ وَعَدًّا وَمَوْعِدًا وَمِيعَادًا، وَالْوَعِيدُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةً، يُقَالُ مِنْهُ: أَوْعَدْتُهُ، وَيُقَالُ: وَعَدْتُهُ وَتَوَاعَدْنَا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ" [إبراهيم: ٢٢]^(٣).

تعدّ أفعال الوعد والوعيد من أهمّ المميّزات التي وقفت عليها الآيات القرآنيّة في قصة فرعون، فجاء الوعد مكافأة للخير والجزاء به، أو بالشرّ، والوعيد دائماً يكون من أجل التّخويف والاعتبار. ويُعدّ الخطاب القرآنيّ

(١) عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٢٣٤.

(٢) جورج يول، التداوليّة، تر: قصي العنابي، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٩٠-٩١.

(٣) الأصفهاني، علي بن الحسين محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: مكتبة نزار مصطفى الباز، ج ١، ص ٦٨٢.

أساسه دعوة البشريّة، وتحفيزها نحو الطّريق المستقيم الذي به تستقيم الحياة، فلا بُدَّ من العقاب من أجل تحذير المشركين والكفار، والذين يميلون عن هذا الطّريق، والوعيد المنتظر من هذا المصير، والتذكير والتّحذير منه، وأيضاً الثّواب والجزاء المنتظر للمحسنين والمؤمنين بالترغيب بالعمل الصالح، والترهيب من العمل الباطل.

قسّم (سورل) الأعمال اللا قولية إلى خمسة أقسام، ومن ضمنها: (الوعديات)، "إذ الهدف منها جعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل، إذ يجب أن يطابق العالم الكلمات، وإذ الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية"^(١)، بذلك يُلزم المتكلم إنجاز عمل فعليّ، ولا بُدَّ أن يكون هذا العمل مطابقاً لقانون العالم، ومناسباً للمقام، ويشتترط أيضاً عنصر مهمّ وهو الإخلاص.

الشرط الأساسي للوعيد هو عدم العفو، يقول الألوسي: "إنا ندعي أن أخبار الوعيد في الكفار مشروطة بعدم العفو، وإن لم يكن هذا الشرط مذكوراً وصريحاً... على أنه يُحتمل أن تكون تلك الجمل دعائية، أو إخبارية، لكنّ الإخبار عن استحقاق الوقوع، لا عن الوقوع نفسه"^(٢).

ومن أبرز الشواهد القرآنية لأفعال الوعد والوعيد قصة فرعون، إذ جاءت الآيات وعيداً لمن يفعل فعله في العصيان والكفر والطغيان، ووعيداً له ولقومه جزاء أفعالهم، وأنجز الله وعده لفرعون في الدنيا، وله وعيد في الآخرة ينتظره هو ومن سار على خطاه. وفيما يأتي بعض الشواهد على

(١) بلا نشبه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار لنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧، ص٦٦.

(٢) الألوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج١، ص١٣٨.

الأفعال الإنجازية المتمثلة في الوعد والوعيد لفرعون ولقومه ومن كان على شاكلتهم.

النموذج الأول:

قال تعالى: "إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا (١٥) فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا" [المزمل: ١٥-١٦].

مُسْتَهْلٌ هذه الآية تمثيل بقوم فرعون، إذ أرسل إليهم موسى عليه السلام، فعصى فرعون موسى عليه السلام وطغى وتكبر. "فأخذناه أخذًا وبيلًا"، فعل لفظي إنجازي، إذ وعد الله كل من يعصيه ويعصي رسله بالأخذ الشديد القوي، مثل ما وعد به فرعون وأنجز وعده بالأخذ القوي الشديد.

"وإياكم أن تكفروها، فتعصوا رسولكم، فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمران، فدعاه إلى الله، وأمره بالتوحيد، فلم يصدق، بل عصاه، فأخذ الله أخذًا وبيلًا أي: شديدًا بليغًا".^(١)

فَعْلٌ لفظي إنجازي، وفيه الوعيد المنتظر لمن أشرك بالله وهو الوعيد بالعذاب، والأخذ الوبيل الأليم، كما أخذ الله فرعون الذي تجبر وطغى وعصى الله ورسوله موسى عليه السلام، فأنجز الله وعده لكل كافر كما فعل بفرعون، ووعد كل من عمل عمله بمصيره وهو الأخذ الشديد والعذاب الأليم.

(١) انظر، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن يعلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٥٧٤.

النموذج الثاني:

قال تعالى: "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين" ٩٦ "إلى فرعون وملأه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد" ٩٧ "يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود" ٩٨ "وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود" ٩٩ "ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد" ١٠٠ "وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء... "١٠١" [هود: ٩٦-١٠١].

يُخبرنا الله سبحانه وتعالى عن رسالة موسى عليه السلام التي كانت مُوجَّهة إلى فرعون وقومه، ثم يذكر سبحانه وتعالى الوعيد المنتظر لفرعون وقومه بأنه [يقدم قومه يوم القيامة]، يقدم فعلٌ لفظيٌّ إنجازيٌّ، ويقصد به أنه "يتقدّم فرعون قومه يوم القيامة إلى جهنّم، كما كان يتقدّمهم في الكفر في الدنيا، فأوردتهم النار، أي: فدخلها وأدخلهم معه فيها، وعبر بالماضي مع أنّ ذلك سيكون يوم القيامة، لتحقيق الوقوع وتأكّده، وقد صرّح القرآن بأنهم سيدخلون النار بمجرد موتهم فقال -تعالى-: "ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" [خافر: ٤٦].^(١)

الفعل يعرضون فعل إنجازي توعد الله به فرعون وقومه نتيجة كفرهم وتكذيبهم لآيات الله التي وصلتهم بواسطة نبي الله موسى، فجزاء الكفر والتكذيب والطغيان النار بعد الموت.

(١) انظر، الطنطاوي، محمد السيد، تفسير الوسيط، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج ١٢، ص ١٥٦.

وهذه الآية أصل كبير في الاستدلال على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: "النار يعرضون عليها غدواً وعشياً"، ويقال لهم: يا آل فرعون، هذه منازلكم، توبيخاً ونقمةً وصغاراً لهم.^(١)

هذا وعد منجز، وهو أن الكافر والطاغي مصيره إلى النار، وعد من الله، كما كان مصير فرعون وقومه النار وورودها، إذ كان السبب في دخول قومه النار، وهو قائدهم يوم القيامة في دخول النار.

النموذج الثالث:

قال تعالى: "ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" ٦" وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين" ٧" فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وإن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين" ٨" وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون" ٩" [القصص: ٦-٩].

أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفاً من الولدان، إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيته وتدلله وتتفداه، وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السماوات العُلا هو القادر

(١) انظر، ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل، تفسير ابن كثير، تحقيق: خالد محمد محرم، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، ص ٤٧٢.

الغالب العظيم، العزيز القوي الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن^(١).

الفعل الإنجازي هو "ونري"، وعد الله بالتمكين للمستضعفين وجعلهم أئمة في الأرض ووارثين لها، ويرى فرعون وجنوده ما كانوا يحذرون من أن يزول سلطانهم وملكهم.

بين -سبحانه- ما اقتضته إرادته وحكمته، من تنفيذ وعيده في القوم الظالمين، مهما احتاطوا وحذروا، ومن إنقاذه للمظلومين بعد أن أصابهم من الظلم ما أصابهم^(٢).

والفعل الإنجازي الآخر هو "ليكون"، وعد من الله أن يكون هذا الغلام عدواً وحرناً لفرعون وقومه. وأنجز الله وعده في آيات كثيرة، إذ بعث موسى وهو الذي تربي ونشأ في دار فرعون، وصار نبياً في قومه، وغرق فرعون وقومه وهلكوا، ولم يمنع من الله شيء.

النموذج الرابع:

قال تعالى " فحشر فنادى "٢٣" فقال أنا ربكم الأعلى "٢٤" فأخذه الله نكال الآخرو والأولى "٢٥" إن في ذلك لعبرة لمن يخشى "[النازعات: ٢٣-٢٦].

الفعل الإنجازي "فأخذه الله"، العقاب للمكذب والمدعي أنه الله والأخذ والنكال به في الدنيا والآخرة، وهو عظة لمن يخشى ويتعظ، ووعيد لمن كان على نهج فرعون.

(١) انظر، ابن كثير، تفسير ابن كثير، ص ٤٧٢.

(٢) الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص ٣٨٦.

وكان ما ذكر من تكذيبه وعصيانه وكيدته سبباً لأن أخذه الله، وهذا هو المقصود من سوق القصة، وهو مناط موعظة المشركين وإنذارهم، مع تسلية النبي ﷺ وتثبيته. (١)

وعد الله كل من تكبر وطفى وعصى الأخذ الشديد في الدنيا والآخرة، وجعل فرعون آية وعبرة ليتذكر الناس ويخشون عقاب الله وغضبه.

الخطاب القرآني دائماً يُذكر فيه الوعيد، أو الوعد، يخبرنا به سبحانه وتعالى عن السبب والمسببات، فلا نجد ذكر عذاب، دون ذكر المسبب لذلك العذاب، أو ذكر وعد دون ذكر المحفز لذلك الوعد، فالخطاب القرآني جاء بصيغة تربوية تعليمية يجمع بين الثواب والعقاب، وهذه من أهم المميزات التي ينهض عليها التعليم والتعلم، وكل قانون بشري لا بد فيه من محفزات وعقوبات، حتى يسعى كل فرد إلى تحقيقها، وتجنب عقوباتها، حتى يستطيع أن يحيا حياة سوية وسليمة كما علمنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

الوعد هو: إزام المتلقي فعل الطاعات، وما أمره به سبحانه وتعالى، حتى ينال الثواب والجزاء، والوعيد هو: إزام المتلقي عدم فعل المعاصي والذنوب، حتى لا يناله العقاب والعذاب من الله سبحانه وتعالى.

قصة فرعون تحتوي على الكثير من أفعال الوعد والوعيد التي تساعد في إثارة المتلقي نحو التذكير والترغيب بفعل الطاعات، والترهيب من فعل المعاصي والاعتبار من حال السابقين، عن طريق سرد القصص والعظة منها، وفهم الرسالة الربانية.

(١) ابن عاشور، طاهر محمد، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، لبنان، بيروت، ص ٣٦٨.

المحور الثاني :

أفعال الإقرار والتهكُّم:

الإقرار يعني ما يقر به المرء ويعترف به أو وما يثبتته لنفسه، ومن الأفعال الإنجازية التي شهدتها قصة فرعون أفعال الإقرار إما بالتكبير والألوهية وإما بالإيمان بالله تعالى، وفي الشواهد ما يثبت ويبرهن هذا.

١- الإقرار:

هو "خبر يتعلَّق بالخبر، ويضربُ به وحده"^(١)، "إنَّ الإقرار شهادة على النفس"^(٢).

النموذج الأول:

قال تعالى " وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنني رسول الله إليكم فلما زاعوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين " [الصف: ٥-٩].

يُخبرنا الله سبحانه وتعالى عن قصة موسى مع قومه، إذ ذكرت في هذا المقام لتسلية نبيِّه الكريم، وما يجب أن يتحلَّى به من الصَّبْر، لأنَّ الرُّسل عانوا من أقوامهم، ولكنَّهم تحلَّوا بالصَّبْر والإصرار على تأدية الرِّسالة على أكمل وجه.

[ي ي پ پ ر] فعلٌ لفظيٌّ إنجازيٌّ، ويُقصد منه إقرار وتوبيخ موسى عليه السلام لقومه بأنَّه رسول من الله، مرسل لغرض هدايتهم، "والرَّسول

(١) القرافي، أحمد إدريس، الفروق، الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص ١٧.

(٢) صحراوي، مسعود، التداوليَّة عن العلماء العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص ١٤٣.

مِنْ حَقِّهِ: الإكرام والإعظام، والانقياد بأوامره، والابتدال لحكمه. وأما أذية الرَسُولِ الَّذِي إِحْسَانُهُ إِلَى الْخَلْقِ فَوْقَ كُلِّ إِحْسَانٍ بَعْدَ إِحْسَانِ اللَّهِ: ففي غاية الوقاحة، والجرأة، والزَّيْغِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي قَدْ عَلِمُوهُ، وتركوه^(١)، وانصرفهم عن دين الحق، ولكن [ثَوْنُ ثَوْنٍ ثَوْنًا] الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ فُسْقٌ، لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّيْلِ الْمَقْدِسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشِيَ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَسَعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات: ١٥-٢٦].

سبب نزول هذه القصة في سورة النازعات هي: "الحجة على إثبات البعث، ثم الإنذار بما بعده، دعت إلى استطراده مناسبة التهديد لمنكري ما أخبرهم به الرسول ﷺ من البعث لتمائل حال المشركين في طغيانهم على الله ورسوله ﷺ بحال فرعون وقومه، وتمائل حال الرسول ﷺ مع قومه بحال موسى عليه السلام مع فرعون، ليحصل من ذكر قصة موسى تسليية للرسول ﷺ وموعظة للمشركين".^(٢)

يُخْبِرُنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقِصَّةِ سَيِّدِنَا مُوسَىٰ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَكَانَ الْخَطَابُ مُوجَّهًا إِلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ لِمُغْرَضِ التَّسْلِيَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ لِلْمَشْرِكِينَ وَالِاعْتِبَارِ مِنْ حَالِ فِرْعَوْنَ وَطُغْيَانِهِ، وَمَحَاوَلَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ

(١) السعدي، تفسير السعدي، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، صيدا، ص ٨٠٢.

(٢) ابن عاشور، ج ٣٠، ص ٦٥-٦٦.

له، ولكنه طغى [فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى] فعلٌ لفظيٌّ إنجازيٌّ، وفيه: إقرار فرعون نفسه بالعبودية، وهو الربُّ الأعلى، إذ يقرُّ على نفسه بالباطل، وهذا دليل على طغيانه وفساده، ولكن ما وصل له من حال [فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى] ^(٣٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى]، أي: إنه أصبح عظة وعبرة لمن يخاف ويخشى من عذاب الله سبحانه وتعالى، لأن من لا يخاف ويخشى الله سبحانه وتعالى لن يخاف ويتعظ بل يمضي قدماً من الفساد والبغي، ولا يبالي ولا يكثرث، والله جعل لنا دليلاً ومثالاً على كل طاغٍ ومتمرّد، وكيف وصل به الحال.

النموذج الثالث:

وقال تعالى: "وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين" ٣٨ " واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون " ٣٩ " فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين " ٤٠ " وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون " ٤١ " وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين " ٤٢ " ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ٤٣ " [القصص ٣٨-٤٣].

الفعل الإنجازي (فأوقد لي)، يقر فرعون بالألوهية وأنه إله قومه ولا يعلم لهم إلهاً غيره.

وليقر قومه بذلك يطلب من هامان أن يبني له صرحاً، فهو يستخف ويستهزئ بعقول قومه ويقر بأنه إله.

"تفى علمه بآله غيره دون وجوده، إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجرم بعدمه، ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويتطلع على الحال".^(١)

"يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة -لُعنه الله- كما قال تعالى: "ما علمت لكم من إله غيري" [الزخرف: ٥٤]، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم، ولهذا قال: [واستكبر هو وجنوده]، قال تعالى إخباراً عنه: "فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين" جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصْرِحًا لهم بذلك، فأجابوه سامعين مطيعين، ولهذا انتقم الله تعالى منه، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة.^(٢)

ادعى الألوهية وأقر بها لنفسه في قوله: (ما علمت لكم من إله غيري)، فأنجز الله فعله في قوله تعالى: (فأخذناه وجنوده)، والفعل الإجازي الآخر في قوله تعالى: (فنبذناهم في اليم)، فمن فعل الإقرار بالألوهية إلى فعل الأخذ والعذاب إلى فعل الاعتبار والعظة لكل من يأتي من بعده.

النموذج الرابع:

قال تعالى: " وجوازنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين " ٩٠ " آلا ن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " ٩١ " فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون " ٩٢ [يونس: ٩٠-٩٢].

(١) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ص ٤٧٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٣٩٠.

في الآيات السابقة فعل إنجازي يقصد به الإقرار، في قوله تعالى: (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل)، أقر فرعون بالله وربوبيته وعظمته حين رأى قدرة الله وقوته وعظمته في أمر البحر بإغراقه وهلاكه.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة: آمَنْتُ يقول: أقررت، أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ^(١).

والفعل الإنجازي في قوله (وأنا من المسلمين)، يقصد به الإقرار بأنه صار من المسلمين المستسلمين بربوبية الله وألوهيته، لأنه رأى قدرة الله التي لا يجاريها قدرة على الإطلاق.

فأفعال الإقرار الإنجازية في قصة فرعون توضح لنا إعجاز القرآن الكريم في المعاني وما وراءها من معانٍ، على القارئ فيه التدبر والتمعن والدراسة، لمعرفة عظمة الله وملكه وقدرته على كل شيء. فقد جاء القرآن بشيراً ونذيراً في كل آياته وقصصه ولا سيما قصة فرعون الذي كان مضرب المثل في القرآن لمصير كل عاصٍ وكافرٍ ومتكبرٍ على آيات الله ودعوة رسله.

٢ - التَّهْكُمُّ:

من أساليب القرآن الكريم ومن أساليب البلاغة العربية وله مقاصد وفوائد ولا سيما في القرآن الكريم، وهو من الأفعال الإنجازية في قصة فرعون، فهو ينجز حكماً ومواعظ وموعظاً للمتلقي.

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ص١٥٠.

فهو "فَنُّ طَرِيفٍ مِنْ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ، مَأْخُوذٌ مِنْ تَهَكُّمِ الْبُرِّ إِذَا تَهَدَّمَتْ، أَوْ مِنْ التَّهَكُّمِ بِمَعْنَى الْغَضَبِ الشَّدِيدِ، أَوْ النَّدَمِ عَلَى أَمْرٍ فَانْت؛ فَالْبَشَارَةُ فِيهَا إِذْئَارٌ، وَالْوَعْدُ مَعَهُ وَعَيْدٌ، وَالْإِجْلَالُ لِلْمَخَاطَبِ الْمَتَهَكَّمِ بِهِ تَحْقِيرٌ".^(١)

"هو فن من فنون البديع، يقصد به إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، فظاهره جد وباطنه هزل".^(٢)

يُعَدُّ اسْلُوبُ التَّهَكُّمِ مِنَ الْأَسَالِيبِ الْمَهْمَّةِ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ الَّتِي تَهْدَفُ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَالذَّعْوَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابٌ تَوْجِيهِيٌّ تَرْبَوِيٌّ يَسَاعِدُ الْإِنْسَانَ عَلَى التَّعَايِشِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، حَتَّى تَحْلُوَ لَهُ الدُّنْيَا، بِالْإِعْتِبَارِ مِنْ قِصَصِ السَّابِقِينَ بِطَرِيقَةٍ تُثِيرُ انْتِبَاهَ الْمَتَلَقِّي، وَتَلْفَتْهُ نَحْوُ مُجْرِيَاتِ الْقِصَّةِ.

النموذج الأول:

قال تعالى: "وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين" ٣٨ "واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون" ٣٩ "فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين" ٤٠ "وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينجون" ٤١ "وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين" ٤٢ [القصص: ٣٨-٤٣].

(١) صافي، محمود عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ج١٥، ص١٧٨.

(٢) الأوسى، عباس علي، أساليب التهكم في القرآن، الألوكة، تاريخ النشر ١٤٣٦هـ، ص٣.

في الآية الكريمة ذكر سبحانه وتعالى تكبر وتجبر فرعون، فقال لوزيره: (فأوقد لي يا هامان)، فعل إنجازي يقصد به التهكم، حتى يرى الله عز شأنه وهو عظيم كفر وتجبر على الله سبحانه وعلى دعوة موسى عليه السلام.

"ما علمت لكم من إله غيري"، كلمة فاجرة كافرة، يتلقاها الملائم بالإقرار والتسليم، ويعتمد فيها فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة، ثم على القهر، الذي لا يدع للرأس أن يفكر، ولا للسان أن يعبر، وهم يرونه بشراً مثلهم يحيا ويموت، ولكنه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب.

ثم يتظاهر بالجد في معرفة الحقيقة، والبحث عن إله موسى، وهو يلهو ويسخر: (لعلني أطلع إلى إله موسى) في السماء كما يقول! وبلهجة التهكم ذاتها يتظاهر بأنه شاك في صدق موسى، ولكنه مع هذا الشك يبحث وينقب ليصل إلى الحقيقة: بعد إغراق الله له^(١).

والفعل الإنجازي (لعلني أطلع) يقصد به التهكم، والسخرية من دعوة موسى عليه السلام، والقصد من كلامه هو الاستهزاء بموسى والاستخفاف بعقول قومه لإغوائهم عن الحق، ومع التهكم يصف نبي الله بالكذب (وإني لأظنه من الكاذبين)، ولكن جزاء هذا التهكم أخذه الله (فأخذناه وجنوده)، فجزاء السخرية والتكبر الأخذ الشديد.

النموذج الثاني:

قال تعالى: "ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون" ٥١ "أم أنا خير من هذا الذي

(١) قطب، سيد، ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق للنشر، ط١، ص ٤٩٠.

هو مهين ولا يكاد يبين "٥٢" فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين "٥٣" فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين "٥٤" فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين "٥٥" فجعلناهم سلفًا ومثلاً للآخرين "٥٦" [سورة الزخرف: ٥١-٥٦].

في الآيات الكريمة يذكر سبحانه تهكم فرعون من موسى عليه السلام، فالفعل الإنجازي في قوله تعالى: (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) ، يقول فرعون سخريّة واستهزاء بموسى عليه السلام: أنا خير منه، فهو مهان لا سلطة له ولا غناء، ولا يكاد يبين في كلامه. فعلٌ يريد به فرعون إضلال قومه واستنقاص موسى عليه السلام وصرف قومه عن دعوته.

ومقصوده تصغير شأن موسى في نفوسهم بأشياء هي عوارض ليست مؤثرة، إذ انتقل من تعظيم شأن نفسه إلى إظهار البون بينه وبين موسى الذي جاء يحقر دينه وعبادة قومه إياه، فقال: أنا خير من هذا. والإشارة هنا للتحقير.^(١)

النموذج الثالث:

قال تعالى: " وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد " [خافر: ٢٦].
في الآيات فعل إنجازي في قوله تعالى: (وليدع ربه)، يقصد بالفعل التهكم، فيقول لقومه: سأقتل موسى وليدع ربه، تهكمًا وسخريّة بما سيفعله رب موسى سبحانه جل في علاه.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ٥٤٣.

"ذروني أقتل موسى"، وهذا عَزَمَ من فرعون -لعنه الله- على قتل موسى عليه السلام، أي: قال لقومه: دعوني حتى أقتل لكم هذا، [وليدع ربه] أي: لا أبالي منه. وهذا في غاية الجحد والتجهم والعناد.^(١) في الآية الكريمة تهكم وسخرية، فالفعل الإنجازي "وليدع ربه" القصد منه الاستهزاء بموسى عليه السلام وبدعوته وبدعاء موسى لله سبحانه وتعالى.

فيما سبق جاءت قصة فرعون تدل على التهكم بمختلف مقاصدها، إما لسوء عاقبة المستهزئ وإما للعظة والعبرة، وهو من أساليب القصص القرآنية التي تفيد دمع المستهزئ منهم بالفساد والظلال وبيان هوانهم وتعريتهم، وتحذير المؤمنين من أن يتصفوا بصفاتهم الذميمة والرد على ادعاءاتهم وتخرصاتهم.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٤٦٧.

المحور الثالث : أفعال المنح والمنح:

١- المنح:

من أساليب القرآن الكريم المنح وهو العطاء، وقد جاءت قصة فرعون تحمل أفعالاً إنجازية دالة على المنح من الله العزيز، وغاية هذه الأفعال جاء متضمن الآيات.

"هو العطاء، وبابه قطع وضرب، والاسم المنحة بالكسر، وهي العطيّة" (١).

"منح يمنح، منحا، فهو مانح، والمفعول ممنوح: منحه الجائزة وغيرها أعطاه إياها، وهبها له، وجاد عليه بها: منحه وساماً أو إجازة أو معاشاً، منحت النساء حق التصويت، ومنحه الدواء قوة، ومنح المدرس الجوائز لطلابه" (٢).

النموذج الأول:

قال تعالى: "وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليظلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم" (٨٨) [يونس: ٨٨].

في الآية الكريمة يذكر موسى عليه السلام المنح التي منحها الله فرعون في قوله تعالى: "آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً"، فالفعل الإنجازي "آتيت فرعون زينة وأموالاً"، فعل يقصد به المنح التي أعطها الله

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ص ٢٦٥.

(٢) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، ط ١، ص ٢١٢٧.

فرعون واستعملها في عصيان الله وغضبه والطغيان والفساد في الأرض، فخطأ الله قد يكون استدراجاً وفتنةً، فلا يغتر الإنسان إذا فتحت لها أبواب الخير في الدنيا، وعليه استعمالها في طاعة الله وفي رضاه.

ولما كانت النعمة مغرية بالطغيان لأهل الجهالة والخبائث، جعل موسى إمداد فرعون بالنعمة مغرياً لفرعون بالاسترسال في الإعراض عن الدين، فكان دعاء موسى عليهم استصلاحاً لهم وتطلباً لإيمانهم بوسائل التشديد عليهم، ولكن الله علم من قلوبهم ما لم يعلمه موسى، وقضى عليهم بالاستئصال^(١). لما تمادى الكفار في تعنتهم مع موسى، دعا الله عليهم، فقال: يا رب إنك أعطيت فرعون وخاصته بهجة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين والسلطان، فكانت عاقبة هذه النعم إسرانهم في الضلال والإضلال عن سبيل الحق، اللهم اسحق أموالهم، واطرهم في ظلمة قلوبهم، فلا يوفقوا للإيمان حتى يروا رأي العين العذاب الأليم، الذي هو العاقبة التي تنتظرهم ليكونوا عبرة لغيرهم.

فالفعل الإنجازي هو منح النعم لفرعون التي رآها الناس وموسى عليه السلام من الملك والأموال والجنود وغيرها من النعم، فلا يغتر المتلقي بالنعمة والملك والحياة المنعمة ويعصي الله ويغفل عن طاعته، فتكون عاقبته مثل عاقبة فرعون.

النموذج الثاني:

قال تعالى: " وفرعون ذي الأوتاد " ١٠ " الذين طغوا في البلاد " ١١ " فأكثرُوا فيها الفساد " ١٢ " فصب عليهم ربك سوط عذاب " ١٣ " إن ربك لبا المرصاد " ١٤ " [ص: ١٢-١٦].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٤٢٦.

الفعل الإنجازي "وفرعون ذو الأوتاد"، بمعنى النعم والمنح التي أعطاها الله فرعون، والقوة والجيوش والخدم والأبنية التي لم يملكها غيره في عصره، ومع ذلك عصى الله ولم يؤمن بالله وكانت لا تغنيه شيئاً من عذاب الله.

وُصف فرعون بأنه [ذو الأوتاد] لعظمة ملكه وقوته، فلم يكن ذلك ليحول بينه وبين عذاب الله.

في الآيات السابقة في قصة فرعون أفعال إنجازية تدل على المنح من أموال وجيوش وقصور وملك لا حد له، فقد كان ملكه عظيماً، ولكن اغتر فرعون بتلك النعم وكانت سبباً في هلاكه وعذابه.

فالممنح إذا قوبلت بالعصيان والكفر والطغيان فمصيرها الهلاك والخسران، إذ بالشكر تدوم النعم وبالإيمان والتصديق تزيد وتدوم، وعلى العكس فإنها بالكفر والطغيان تزول كما في قصة فرعون.

٢- المنع:

المنع ضد العطاء، فقد كان من أساليب القرآن الكريم. "هو ضد المنح، ويعني توقف العطاء أو منع أمر ما، وهو من أساليب القصة القرآنية التي تفيد العظة والعبرة أو الجزاء لمن كفر وعصى أو منع أمور للإنسان فيها حكمة وخير".^(١)

(١) مدور، محمد، رسالة دكتوراة بعنوان الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، إشراف: جودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، الجزائر، ١٤٣٤-١٤٣٥، ص ٣١٥.

النموذج الأول:

قال تعالى: "ولقد أخذنا فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون" [الأعراف: ١٣٠].

الفعل الإنجازي "ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين"، والقصد من الفعل المنع مما أعطاهم الله وأنعم عليهم، والهدف من فعل المنع: ولقد عاقبنا فرعون وقومه بالجذب والقحط وضيق المعيشة، وبنقص ثمرات الزروع والأشجار، رجاء أن ينتبهوا إلى ضعفهم وعجز ملكهم الجبار أمام قوة الله، فيتعظوا ويرجعوا عن ظلمهم لبني إسرائيل، ويستجيبوا لدعوة موسى عليه السلام، فإن شأن الشدائد أن تمنع الغرور وتهذب الطباع وتوجه الأنفس إلى قبول الحق، وإرضاء رب العالمين، والتضرع إليه دون غيره.

إنها إشارة التحذير الأولى؛ الجذب ونقص الثمرات، و(السنين) تطلق في اللغة على سني الجذب والشدّة والقحط، وهي في أرض مصر، المخصصة المثمرة المعطاء، تبدو ظاهرة تلفت النظر، وتهز القلب، وتثير القلق، وتدعو إلى اليقظة والتفكير، لولا أن الطاغوت والذين يستخفهم الطاغوت -فسقهم عن دين الله- فيطيعونه، لا يريدون أن يتدبروا ولا أن يتفكروا، ولا يريدون أن يروا يد الله في جذب الأرض ونقص الثمرات، ولا يريدون أن يتذكروا سنن الله ووعده ووعيدته، ولا يريدون أن يعترفوا بأن هناك علاقة وثيقة بين القيم الإيمانية وواقعات الحياة العملية، لأن هذه العلاقة من عالم الغيب، وهم أغلظ حساً وأجهل قلباً من أن يروا وراء الواقع المحسوس -الذي تراه البهائم وتحسه ولا ترى غيره ولا تحسه- شيئاً! وإذا رأوا شيئاً من عالم

الغيب لم يتفطنوا إلى سنة الله الجارية وفق المشيئة الطليقة، وإنما نسبوه إلى المصادفات العابرة، التي لا علاقة لها بنواميس الوجود الدائرة.^(١) كذلك لم ينتبه آل فرعون إلى اللسمة الموقظة الدالة على رحمة الله بعباده حتى وهم يكفرون ويفجرون، كانت الوثنية وخرافاتهما قد أفسدت فطرتهم، وقطعت ما بينهم وبين إدراك النواميس الدقيقة الصحيحة التي تصرف هذا الكون، كما تصرف حياة الناس، والتي لا يراها ولا يدركها على حقيقتها إلا المؤمنون بالله إيماناً صحيحاً، الذين يدركون أن هذا الوجود لم يخلق سدى، ولا يمضي عبثاً، إنما تحكمه قوانين صارمة صادقة، وهذه هي "العقلية العلمية" الحقيقية. وهي عقلية لا تنكر "غيب الله"، لأنه لا تعارض بين "العلمية" الحقيقية و"الغيبية"، ولا تنكر العلاقة بين القيم الإيمانية وواقعات الحياة، لأن وراءها الله الفعال لما يريد، الذي يريد من عباده الإيمان وهو يريد منهم الخلافة في الأرض، والذي يسن لهم من شريعته ما يتناسق مع القوانين الكونية ليقع التناسق بين حركة قلوبهم وحركتهم في الأرض.

فمن أفعال الله الإنجازية المنح ثم المنع لقوم فرعون، وهي من رحمة الله بهم وكريم لطفه وعظيم رحمته بهم، فأعطاهم ثم منع عنهم ليتعظوا ويعلموا أن ما هم فيه من الله القدير الكبير.

النموذج الثاني:

قال تعالى: " فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون "١٣١" وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص ٦٤١.

"١٣٢" فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين "١٣٣" ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل "١٣٤" فلما كشفنا عنا الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون "١٣٥" فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون :١٣٥ [الأعراف: ١٣١-١٣٧].

في الآيات السابقة الفعل الإنجازي في قوله تعالى: "ودمرنا ما كان يصنع فرعون"، فمنع الله فرعون من ملكه وسلطته ودمرها جزاء لعصيانه وطغيانه وتكبره وعدم استجابته لدعوة موسى عليه السلام.

"وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ" فإنه يقول: وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع، "وما كانوا يعرّشون"، يقول: وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور، وأخرجناهم من ذلك كله، وخرّبنا جميع ذلك.^(١)

وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْهَائِلَةِ، وَالْمَسَاكِنِ الْمَزْخَرَةِ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ، فَتِلْكَ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

في الآيات السابقة أفعال منح ومنع كثيرة، وهذا من إعجاز القرآن الكريم وهو اجتماع أكثر من فعل في الآية الواحدة، أو آيات قليلة تحمل أفعالاً كثيرة، ومنها فيما سبق:

"فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم"، فهذه أفعال إنجازية من الله سبحانه وتعالى أرسلها لفرعون وقومه لمنعهم من

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٨٣٤.

الاطمئنان والسكينة والراحة والحياة الهانئة التي كانوا فيها جزاء طغيانهم وكفرهم.

ومن أفعال المنع والمنح في الآيات السابقة عذاب الله، واستجابة الله دعاء قوم فرعون، فمنع ومنح في قوله تعالى:

(فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون "١٣٥" فانتقمنا منهم فأغرقتناهم)

أصابهم الرجز العذاب منع، (فلما وقع عليهم الرجز)، فعل إنجازي من الله سبحانه وتعالى وهو وقوع العذاب ومنعهم من حياتهم السابقة التي كانوا فيها من النعيم والترف، وهي عاقبة كل من يفعل فعلهم، ثم طلبوا من موسى أن يدعو الله لهم، وكان وعدهم لموسى أن يؤمنوا بالله، فاستجاب الله لهم ومنحهم إجابة الدعاء مع علمه سبحانه بكفرهم، ولكن رحمة الله تسبق عذابه وغضبه، فاستجاب الله لهم.

قال تعالى: (فلما كشفنا عنهم الرجز)، فعل إنجازي يدل على المنح وعطاء الله لهم واستجابة دعائهم وهم كافرون طاغون، ولكن (ثم إذا هم ينكتون) نكتوا الوعد الذي أعطوه موسى، وهو أنه إذا استجاب الله لهم ورفع عنهم العذاب سيؤمنون بالله، لكن أخلفوا الوعد وخانوا العهد وعصوا وكفروا بعد عطاء الله لهم ومنح الإجابة لهم، لذلك كل متلقي يكذب ويفعل مثل أفعالهم فلا حماية له من عذاب الله وغضبه.

النموذج الثالث:

قال تعالى: "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فعون بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين "٩٠" آآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين "٩١"

فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون "٩٢" ولقد بوأنا بني إسرائيل ميوأ صدق ورزقناهم من الطيات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون "٩٣" [يونس: ٩٠-٩٣].

في الآيات الكريمة الفعل الإنجازي منع الله فرعون من استجابة الدعاء، يقول سبحانه: الآن وقد عصيت وتكبرت وكفرت وكنت مفسداً ومتجبراً ولم تتعظ وتؤمن بآياتنا ورسولنا، فقد أمهلناك ووعظناك وأعطيناك ولم تؤمن، لذلك عذاب الله للكافرين شديد وللمكذابين أليم.

"فاليوم ننجيك"، فعل إنجازي يقصد به الله العظة والعبرة من فرعون وعمله، لتكون فعلاً إنجازياً آخر القصد منه "من خلفك آية"، فكثير من الناس غافل ومكذب وكافر بالله وبآياته، فهذا الفعل عبرة وموعظة لكل متلق غافل وعاص.

إنه الموقف الحاسم والمشهد الأخير في قصة التحدي والتكذيب، والسياق يعرضه مختصراً مجملاً، لأن الغرض من سياقه هذه الحلقة من القصة في هذه السورة هو بيان هذه الخاتمة؛ بيان رعاية الله وحمائته لأولياته، وإنزال العذاب والهلاك بأعدائه، الذين يغفلون عن آياته الكونية وآياته مع رسله حتى تأخذهم الآية التي لا ينفع بعدها ندم ولا توبة، وهو مصداق ما سبق في السورة من وعيد للمكذابين في قوله تعالى: "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون" تُعدُّ الأفعال الإنجازية من السمات المهمة في القصة القرآنية التي تُحدد الهدف، وتُوجِّه الرؤية نحو فعل قوليٍّ يُثير انتباه المتلقِّي نحو الغايات والحقائق التي من أجلها ذُكرت القصة، إمَّا لوعده ووعيد، وإمَّا لإقرار وتهكم، وإمَّا لمنح ومنع.

الخاتمة

أَحْمَدُ اللهُ تَعَالَى فِي نَهَايَةِ الْبَحْثِ، فَلَا تَمَّ سَعْيِي، وَلَا بَلَغَ جُهْدِي، إِلَّا بِفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْبُلُوغِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ، وَأَصْلِي وَأَسْلَمَ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

أما بعد،

عُنِيَتْ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ بِالْمُقَارَبَةِ التَّدَاوِلِيَّةِ لِلأَفْعَالِ الْإِنجَازِيَّةِ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ، تَجْمَعُ خَيْرَ كُلِّ الْمَنَاهِجِ مِنْ حَيْثَمَا اقْتَرَبْتَ فِي بَيَانِ الْقُرْآنِ بَعْدَ تَطَوُّرِ الْعُلُومِ وَالْحَيَاةِ، تَأْوِيلًا لَا يُجَمِّدُ بِمَدَلُولَاتِ الْقُرْآنِ بِكَلِمَةٍ بَيَانِ حَاسِمَةٍ، بَلْ يَتَصَوَّبُ لِلْوَفَاءِ بِمَقْتَضَى تَجَدُّدِ الْعِلْمِ وَالْبَلَاءِ، حَيْثَمَا كَانَ الْمُخَاطَبُ بِالْقُرْآنِ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَعَلَى أَيِّ حَالَةٍ وَهَيْئَةٍ، وَهَذِهِ الْمُقَارَبَةُ التَّدَاوِلِيَّةُ، لِمُخَاطَبَةِ كُلِّ قَارِئٍ، لِيَنْظُرَ فِي الْقُرْآنِ، وَيَوْسَعَ وَعِيَهُ وَمَدَارِكِهِ.

كَانَتْ أَمُّ النَّتَائِجِ؛ تَضْمَنُ الْخَطَابَ الْقُرْآنِيَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْإِنجَازِيَّةِ التَّدَاوِلِيَّةِ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى نَقْلِ الصُّورَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ، عَنْ طَرِيقِ تَحْوِيلِ تِلْكَ الْمَعَانِي إِلَى أَفْعَالٍ قَوْلِيَّةٍ، تُنْتِجُ تَأْثِيرًا، وَإِثَارَةً لَدَى الْمُتَلَقِّيِّ.

وَلَا يَخْلُو الْخَطَابُ الْقُرْآنِيَّ مِنَ الرُّوَابِطِ التَّدَاوِلِيَّةِ الْمَهْمَةِ الَّتِي تُرْبِطُ بَيْنَ بَنِيَةِ النَّصِّ، وَالْمُرْسَلِ، وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، وَبِذَلِكَ تُضَيَّفُ لِلْخِطَابِ قُوَّةً، وَتُسَاعِدُ عَلَى تَحْدِيدِ هُوِيَّتِهِ، وَبَيَانِ هَدَفِهِ الْمُرْسَلِ مِنْهُ.

يُعَدُّ الْخَطَابُ الْقُرْآنِيَّ نَمُودَجًا مَثَالِيًّا لِتَجْسِيدِ الْأَفْعَالِ الْإِنجَازِيَّةِ فِي الْمَنَهْجِ التَّدَاوِلِيِّ، عَنْ طَرِيقِ دَلَالَاتٍ مَعِيَّةٍ وَثَابِتَةٍ، تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ السِّيَاقِ، لِأَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِالْمَعْنَى الْبَلِيغِ، وَاللَّفْظِ الْبَدِيعِ، وَالْبَيَانِ الْمَعْجَزِ.

تداولية الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في الآيات القرآنية

إنَّ الخطابَ القرآنيَّ جاءَ خطاباً تداولياً، مهتماً باللُّغة، وقائماً على المتلقِّي، وجميعِ العناصرِ التَّواصليةِ التي تصبُّ في صالحِ الخطاب، وتزِيدُ من عنصرِ الإقناع، والإثارة، والتشويقِ لدى المتلقِّي.

وبعدُ،

فإنَّ هذا جَهْدِي، وعلى الله التُّكلان، أسألُ الله أنْ يَنْفَعنا بما عَلَّمنا، وأنْ يَعَلِّمنا ما يَنْفَعنا، وأنْ يجعلَ العِلْمَ حُجَّةً لَنَا، لا حُجَّةً عَلَيْنَا، وأنْ يجعله خالِصاً لوجهه الكريم، وسلاماً على المرسلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر :

القرآن الكريم.

المراجع :

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، د. ت.
- الألوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الجزء الأول.
- الباهي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ط ٢، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م.
- البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله، عثمان جمعه، سليمان مسلم، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ.
- بلا نشبه، فليب، التداوليّة من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار لنشر والتوزيع، اللاذقية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- ختام، جواد، التداوليّة أصولها واتجاهاتها، الطبعة الأولى، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ٢٠١٦م.
- دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداوليّة، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، ١٩٩٢م.

تداولية الأفعال الإنجازية في قصة فرعون في الآيات القرآنية

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، لمختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩-١٩٩٨.
- السعدي، أبو عبد الله، تفسير السعدي، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، صيدا، ١٤٣٦-٢٠١٥م.
- صافي، محمود عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، الجزء خمسة عشر.
- صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، م ٢٠٠٥.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، الطبعة الأولى، دار الهجر، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.
- الطنطاوي، محمد سيد، تفسير الوسيط، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.
- طه، عبد الرحمن، تجديد المنهج وتقويم التراث، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- ابن عاشور، طاهر، محمد، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، لبنان، بيروت، م ٢٠٠٠-٥١٤٢٠.
- عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط ١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

- عمر، أحمد مختار، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصر، عالم الكتب، الطبعة الأولى.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، الطبعة الأولى.
- القرافي، أحمد إدريس، الفروق، الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- قطب، السيد، ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق للنشر، الطبعة الأولى.
- ابن كثير، أبي الفداء، إسماعيل، تفسير ابن كثير، راجعه ونقحه: خالد محمد محرم، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، صيدا، ٢٠١٥م.
- مدور، محمد، رسالة دكتوراة بعنوان الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداوليَّة، إشراف: جودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر، قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها، باتنة، الجزائر، ١٤٣٤-١٤٣٥.
- نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢م.
- يول، جورج، التَّدالويَّة، ترجمة: قصي العتابي، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، المغرب، ٢٠١٠م.

الدوريات:

- بغورة، الزواوي، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس ٢٠٠٧، العدد ٣، المجلد ٣٥.

المواقع الإلكترونيَّة:

- الأوسى، عباس علي، أساليب التهكم في القرآن، الألوكة، تاريخ النشر ٢٠١٥م، <https://www.alukah.net>. تاريخ الاطلاع / ٥/٥/٥١٤٤٣، ٧:٥٥.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	م
٣٤٥٨	ملخص	-١
٣٤٥٩	Abstract	-٢
٣٤٦٠	المقدمة	-٣
٣٤٦٤	مدخل: تعريف التداولية	-٤
٣٤٦٨	نشأة التداولية وتطورها:	-٥
٣٤٧٠	الأفعال الإنجازية	-٦
٣٤٧١	المحور الأول : أولاً- أفعال الوعد والوعيد	-٧
٣٤٧٨	المحور الثاني : أفعال الإقرار والتمكّم	-٨
٣٤٨٧	المحور الثالث : أفعال المنح والمنح	-٩
٣٤٩٥	الخاتمة	-١٠
٣٥٠٠	فهرس الموضوعات	-١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ